

**ما يترتب على فعل المأمورات وترك المنهيات في
الواجب المخير والنهي المخير أصولية دراسة**

**What Entails from Performing Commandments and
Abstaining from Prohibitions in Optional Obligation
and Optional Prohibition: An Usuli Study**

م.م. هدى عبدالستار توفيق

Assistant Lecturer. Huda Abdul-Sattar Tawfeeq

abom48748@gmail.com

الكلمات المفتاحية: الواجب المخير، النهي المخير، المأمورات والمنهيات، الثواب والعقاب،
دراسة أصولية.

**Keywords: Optional Obligation, Optional Prohibition,
Commandments and Prohibitions, Reward and Punishment, Usuli
Study.**

الملخص:

إنَّ هذا البحث الموسوم بـ: (ما يترتب على فعل المأمورات وترك المنهيات في الواجب المخير والنهي المخير -دراسة أصولية-) من البحوث المهمة التي تناولت دراسة الواجب المخير والنهي المخير، والفعل المترتب على فعل كل واحد منهما، وهل أنَّ الثواب يتعلق بأعلاها، والعقاب بقدر أدناها عقاباً، أو العكس، وفي النهي هل الثواب يتعلق بترك أشدها عقاباً، وإذا فعلها إن عوقب يعاقب على أخفها، أو العكس، حيثُ قسمت الباحثة هذا البحث على قسمين تناولت فيه محاور البحث، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

Abstract

This research, titled: (What results from doing what is commanded and leaving what is forbidden in the optional duty and the optional prohibition - a fundamental study -) is one of the important researches that dealt with the study of the optional duty and the optional prohibition, and the action resulting from the action of each one of them, and whether the reward is related to the highest of them, and the punishment. As much as the least punishment, or vice versa, and in the prohibition, is the reward related to abandoning the most severe punishment, and if he does it, he will be punished for the lightest punishment, or vice versa, as the researcher divided this research into two parts in which she addressed the research axes. Praise be to God, Lord of the worlds, and may God's blessings and peace be upon our master Muhammad and his family. His family and companions, peace and blessings be upon him.

المقدمة

الحمد لله معلم البيان، وموجب النظر والاستدلال، ومختص الإنسان بإقامة الحجج البالغة وضرب الأمثال، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والرسل، ونهاية التمام والكمال، وعلى آله وأصحابه من كانوا خير أتباع وخير أمثال للأجيال، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم العرض والسؤال.

أما بعد:

فعلم أصول الفقه من أشرف العلوم قدراً، وأعلاها قيمة وعلماً، كيف لا وهو بيني للفقهاء أصوله، ويؤسس له قواعده وأسسها، فلذلك تعلقت الخيرية الحاصلة بتعلمه بقوله ﷺ: ((من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين))⁽¹⁾، فعليه كان الاشتغال به، ومعرفة علومه من أفضل الأعمال، وأقربها إلى الله سبحانه وتعالى.

فلأجل ذلك سار العلماء قديماً وحديثاً في تحصيل علومه، والاشتغال بفنونه، ومن الأمور التي ذكرها الأصوليون في كتبهم مسألة الأحكام الخمسة من الواجب، والمندوب، والمباح، والمكروه، والحرام، وكان هذا البحث مختصاً بالكلام عن فعل المأمورات والمنهيات في الواجب المخير والنهي المخير، وبيان كون التخيير في حال التساوي في المأمور والمنهي عنه، وفي حال عدم التساوي بينهما، وبيان اتجاهات العلماء، وأقوالهم، وأدلتهم، والراجح منها. وأسمايت هذا البحث ب: (ما يترتب على فعل المأمورات وترك المنهيات في الواجب المخير والنهي المخير -دراسة أصولية-)

خطة البحث:

إنَّ هذا البحث مقسمٌ على وفق خطة بحثية مكونة من: مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، وكما يأتي:

- المقدمة.
- المبحث الأول: التعريف بمفردات العنوان:
- المطلب الأول: تعريف الواجب لغة واصطلاحاً:
- المطلب الثاني: تعريف النهي لغة واصطلاحاً:

(1) صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (ت256هـ)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، ط1، 1422هـ، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، برقم: 71، 1/ 25.

- **المبحث الثاني: ما يترتب على فعل المأمورات وترك المنهيات في الواجب المخير والنهي المخير:**
- **خاتمة: احتوت على أهم النتائج التي توصلت إليه الباحثة.**

والله أسأل أن يجعل هذا البحث نافعا لمؤلفه، وقارئه إنّه على كل شيء قدير، نعم المولى ونعم النصير، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المبحث الأول

نظرة عامة عن سورة الذاريات

يعدّ الوقوف على سورة الذاريات مدخلاً أساسياً لفهم البنية الدلالية التي يتحرك فيها هذا البحث؛ إذ إن دراسة الاسم المجرور بالحرف لا تتفصل عن طبيعة السورة، وموضوعاتها، ومقاصدها العقدية والبلاغية. ومن ثمّ، فإن هذا المبحث يهدف للدراسة التطبيقية من خلال التعريف بالسورة، وبيان مناسباتها وموضوعاتها، والكشف عن أبرز مقاصدها، بما يتيح فهماً أعمق للسياقات التي وردت فيها التراكيب الجارية والمجرورة، ويُبرز الصلة الوثيقة بين البناء النحوي والمعنى التفسيري في آياتها.

المطلب الأول: التعريف بسورة

الذاريات أولاً: تعريف سورة الذاريات

تعدّ سورة الذاريات من السور المكية باتفاق المفسرين، وقد بلغ عدد آياتها ستين آية، وهي السورة الحادية والخمسون في ترتيها بالمصحف العثماني، كما أنها السورة السادسة والستون في ترتيها بالنزول، إذ نزلت بعد سورة الأحقاف وقبل سورة الغاشية. وتقع هذه السورة في نهاية الجزء السادس والعشرين وبداية الجزء السابع والعشرين من القرآن الكريم، ولا تعدّ من السور الطوال. وتمتاز كذلك بأنها السورة الوحيدة التي ورد فيها اسم الرازق في القرآن الكريم. وقد اشتهرت تسميتها بسورة الذاريات بإثبات الواو؛ تسمية لها بأول كلمتين وقعتا في مطلعها، وهو ما جرى عليه البخاري في كتاب التفسير من صحيحه، كما اعتمده القرطبي في تفسيره، في حين سُميت أيضاً بالذاريات بحذف الواو على سبيل الاختصار للكلمة الأولى من السورة، وهو ما درج عليه الترمذي وجمهور المفسرين (ابن حجر، د.ت.، 589/8)، (القرطبي، 1988، 9/29)، (الترمذي، د.ت.، 391/5).

ويدل عنوان السورة ومطلعها على محور دلالي عميق يرتبط بالرزق والقدرة الإلهية في تدبير شؤون الكون؛ فالذاريات هي الرياح التي تذرو ما أمرت به في السماء والأرض، وهي رياح لطيفة في جريانها، ثم يأتي القسم بعدها بالحاملات، وهي السح

ب التي تحمل الماء، ثم بالمقسمات التي توزع هذا الخير بأمر الله تعالى. ومن خلال هذا البناء القسمي يتكشف أن السورة تؤسس يقيناً إيماناً بأن الرزق بيد الله، وأن وعده لعباده حق لا يري بفيه. ثم يأتي القسم بالسماء ذات الحبك، أي ذات الطرائق المحكمة والمسالك المنتظمة، ليشير إلى نظام كوني بالغ الدقة، يقابله في حياة الناس اختلافهم في تلقي حقيقة الرزق؛ فمنهم من يوقن بوعده الله، ومنهم من يتردد أو يشك. ومن ثم فإن السورة من أولها تفتح أمام المتلقي أفقا عقدياً يربط بين الظواهر الكونية وقضية الإيمان بالرزق والتدبير الإلهي.

ثانياً: عدد آياتها وكلماتها وحروفه ا

اتفقت كتب عدي على أن سورة الذاريات تتألف من ستين آية، وهو عدد مستقر عن أهل هذا الفن، كما أن فواصل آياتها تجمع في العبارة المشهورة قفاك معن (البقاعي، 1981، 3/24)، (الفيروز آبادي، 1999، 439/1). أما من حيث عدد الكلمات، فقد بلغ عدد كلماتها ثلاثمائة وستين كلمة، في حين بلغ عدد حروفها ألفاً ومائتين وتسعة وثلاثين حرفاً، وهو ما أورده الخازن في تفسيره (الخازن، 1955، 241/6). غير أن الفيروز آبادي ذكر رواية أخرى في عدد حروفها، مفادها أنها ألف ومائتان وسبعة وثمانون حرفاً، الأمر الذي يعكس اختلافاً معروفاً في مناهج العديبين العلماء، تبعاً لطبيعة الاحتساب والرسم والوقف والابتداء (الفيروز آبادي، 1999، 439/1).

ثالثاً: وقت النزول وظروف الدعوة

تصنف سورة الذاريات ضمن السور المكية، وقد نُقل هذا الاتفاق عن ابن عباس وابن الزبير رضي الله عنهما، ولم يحك في ذلك خلاف معتبر بين أهل العلم، كما أشار الشوكاني عن حديثه عن الروايات الواردة في سبب ومكان نزولها (الشوكاني، 1972، 5/82). وقد ذكر ابن عاشور أنها السورة السادسة والستون في ترتيب النزول، وهو ما يضعها في مرحلة متقدمة من العهد المكي، أي في الفترة التي اشتدت فيها المواجهة بين الدعوة الإسلامية والبيئة الوثنية في مكة، وأصبحت الحاجة ماسة إلى ترسيخ العقيدة في النفوس وتحريرها من العوائق النفسية والمادية التي تحول دون تمام الاستجابة لله تعالى (ابن عاشور، 1978، 335/26).

وتتنظم السورة في سياق مكّي يركّز على بناء اليقين في مرحلة الاستضعاف؛ فهي تقيم البرهان من الكون، وتستدعي تاريخ الأمم، وترتبط بين الرزق والبعث والجزاء ربّ طامحك ما،

حتى تتك ون في نفس المتلقي صورة كلية للسورة محورها: توحيد الله تعالى، وصدق الوعد والوعيد، ووجوب الف ارر إليه بالعبادة والطاعة (ابن عاشور، 1978؛ التويجزي وشرف الدين، 2000).

المطلب الثاني: المناسبات والموضوعات في السورة أولاً: مناسبة سورة الذاريات للسورة التي قبلها

تأتي سورة الذاريات بع د سورة ق في ترتي ب المصحف، وتظهر بين السورتين صلة موضوعية وثيقة، تجعل الثانية امتداداً دلاليّاً للأولى؛ ذلك أن سورة ق عرضت مشاهد اليوم الآخر، وما أعدّه الله تعالى فيه من عذاب للمكذّبين ونعيم للمتقين، ثم جاءت سورة الذاريات مفتوحة بسلسلة من الأقسام الكونية: بالذاريات، ثم الحاملات، ثم الجاريات، ثم المقسمات، لتؤكد أن ما وعد به الناس من بعث وجزاء وحساب حقا لا مرية فيه، فكان مطلعها جاء توكيها لما سبق تقريره في سورة ق، وتثبيت الحقيقة الوعد والوعي الذي كان في السورة السابقة ق د أبرزتها في سياق الترهيب والتذكير (البقاعي، 1981، 483/18).

ومن أوجه المناسبة أيضا أن سورة ق أشارت إلى مصارع الأمم المكذبة على سبيل الإجمال، فقال تعالى: ﴿كذبت قب لهم قوم نوح وأصحب آل رس وث مؤدو عاد و فرعون و إخون لوط وأصحب الأيكة و قوم تبعة كل كذب آل رس ل ف ح ق و عي د﴾ [ق: 12-14]، في حين جاءت سورة الذاريات ففصلت الحديث عن بعض هذه الأمم، فعرضت نماذج من قوم لوط، وفرعون، وعاد، و ثمود، بما يكشف عن السنن الإلهية في إهلاك المكذّبين وإنجاء المؤمنين. وبهذا تكون سورة الذاريات قد انتقلت من الإشارة المجملة إلى البيان المفصل، ومن التذكير العام إلى عرض الشواهد التاريخية التي تزيد المعنى وضوحاً وتأثيراً.

ثانياً: التناسب بين أجزاء السورة

يظهر التناسب الداخلي في سورة الذاريات من خلال بنائها الموضوعي المحكم؛ إذ تبدأ السورة بالقسم على صدق الوعد الإلهي ووقوع الجزاء، في قوله تعالى: ﴿إن ما توعدون لصادق وإن آل دي ن ل وقع﴾ [الذاريات: 5-6]، لتضع المتلقي من البداية أمام حقيقة قطعية لا تقبل التردد. ثم تنتقل الآيات إلى بيان حال المكذّبين، كاشفة أن إنكارهم لم يكن مبنياً على برهان أو نظر صحيح، وإنما على الخرص والتخمين والاضطراب في المواقف والأقوال. وبعد

ذلك يعرض السياق القرآني نماذج تاريخية واقعية من الأمم السابقة؛ ليدل ل من خلالها على أن سنة الله في إهلاك المكذبين سنة ثابتة متكررة.

ثم تتسع دلالة السورة لتشمل الآيات الكونية في الأرض والأنفس والسماء، بما يعمق في النفس معنى القدرة الإلهية والوحدانية والتدبير، ويقود إلى الإيمان بأن من قدر على الخلق أول مرة قادر على الإعادة والبعث. وبعد ذلك يسلي الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ببيان أن تكذيب قومه ليس أم ار جدي دا، بل هو مي ارث قديم توارثته الأمم الكافرة في مواجهة رسلها. وفي خاتمة هذا البناء الموضوعي تأتي الآيات الجامعة التي تبين غاية الوجود الإنساني والجنّي، ثم تختم السورة بالوعيد الحاسم للكافرين في قوله تعالى: ﴿فإن لذي ن ظلموا دنو با مثل دنوب أض دب هم ف لا ينست ع جلون ف ويلل ل لذي ن ك فروا من يوم هم آل ذي يو عون﴾ [الذاريات: 59-60].

ثالثاً: مقاصد سورة الذاريات

تتعد مقاصد سورة الذاريات، غير أنها تنتظم جمي عا في خدمة المقصد العقدي المركزي القائم على ترسيخ اليقين بالله تعالى وباليوم الآخر. فأول هذه المقاصد تأكيد أن يوم القيامة واقع لا محالة، مع إبطال شبهات المشركين وافتراءاتهم حول استبعاد البعث والحساب. وثانيها وعالم المؤمنين بالجنة والخلود فيها جازة لإيمانهم الصادق وأعمالهم الصالحة، في مقابل ما أعاد للمكذبين من وعيد وعذاب. وثالثه عرض جملة من دلائل القدرة الإلهية في الكون، سواء في الأرض أم في الأنفس أم في السماء، بما يدل على إحكام الخلق وسعة التدبير، ويؤكد أن ال ر ز ق بي د الله تعالى وحده، وأن إعادة الخلق أهون من ابتدائه في تقدير البشر، وكل ذلك من أعلام التوحي د وشواه د الربوبية (مقاتل، 2003، 125/4).

كما تهدف السورة إلى تقري ر حدود وظيفة الرسول صلى الله عليه وسلم، وأن مهمته الأساسية هي التنكير والبلاغ، لا حمل الناس على الإيمان قسار، ولا ضمان استجابتهم للحق، ومن ثم فإن إرضهم وكفرهم لا ينق ص من مقام الرسالة شيئا، لأن الرسول أدى ما أمر به من البيان والإنذار. وفي هذا المعنى تأسيس لمفهوم الدعوة القائم على البلاغ المبين، وربط بين الرسالة وغاية الخلق التي تنتهي إلى عبادة الله تعالى وحده، وهو ما يجعل السورة ذات طابع تربوي وعقدي عميق، يجمع بين التنكير بالآخرة، والاستدلال بالكون، وتقويم وظيفة النبوة في سياق الصراع مع المكذبين (ابن عاشور، 1978، 335-336).

المبحث الثاني

تعريف حروف الجر ومعانيها

تعد حروف الجر من أكثر الأبواب النحوية اتصا لا بالدلالة؛ لأن الحرف لا يعمل في الاسم عم لا شكلياً فحسب، بل يُنشئ علاقة معنوية بين الاسم وما قبله، ويسهم في تحديد جهة المعنى: أهي ابتداء، أم انتهاء، أم ظرفية، أم استعلاء، أم سببية، أم غير ذلك. ومن هنا كانت دراسة الاسم المجرور في سورة ال ذاريات متوقفة على ضبط معاني هذه الحروف أو لا، ثم النظر في كيفية توجيهها داخل السياق القرآني.

وتشتمل هذه الحروف عند النحاة: حروف الجر، وحروف الخفض، وحروف الإضافة؛ فهي حروف تجر ما بعدها لف ظاً، وتربطه بما قبله معنى، ولذلك أفرد لها النحاة باباً مستقلاً في كتب العربية (ابن هشام، 1979؛ الغلاييني، 1991).

ويعتمد هذا البحث أري جمهور النحاة في عد حروف الجر الأصلية سبعة عشر حرفاً، هي: من، وإلى، وحتى، وخلا، وحاشا، وعدا، وفي، وعن، وعلى، ومد، ومنذ، ورب، واللام، وواو القسم، وتاء القسم، والكاف، والباء. أما ما أزدده بعضهم من نحو كي ولعل ومتى فمحل خلاف، ولذلك لم يُب ن عليه التطبيق في هذا البحث (ابن هشام، 1979؛ عباس حسن، د.ت. .).

وباستقراء سورة الذاريات تبين أن الحروف الجارة الواردة فيها على نحو و لاقت هي: في، وإلى، ومن، والباء، واللام، وعلى، وعن، وواو القسم، ورب القسم. ويكثر فيها حرف في حتى بلغ ثلاثة عشر موضعاً، كما تكرر حرف إلى أربع مرات، وظهرت الباء في مواضع رئيسة تكشف عن الملايسة والسببية والاستعانة، في حين لم يرد للكاف الجارة مثال صريح في السورة، فاقصر البحث في شأنها على التعريف النظري دون التمثيل التطبيقي من السورة.

فأما من، فالأصل فيها ابتداء الغاية، وقد ترد للتبعيض أو البيان بحسب السياق. ومن أمثلتها في السورة قوله تعالى: ﴿مَنْ طي ن﴾ [الذاريات: 33]، فمن هنا بيانية تف سر جنس الجارة المسومة، وقوله: ﴿و من كُ ل شيء خ لِقْنا زو جي ن﴾ [الذاريات: 49]، فهي عند كثير من المفسرين للاستعانة بالبياني، بما يفيد شمول سنة الأزواج في المخلوقات (الطبري، 2000؛ ابن عاشور، 1978).

وأما إلى، فالأصل فيها انتهاء الغاية، وهو المعنى الظاهر في السورة في نحو قوله تعالى: ﴿ف ارغ إلى أهل ه﴾ [الذاريات: 26]، وقوله: ﴿إنا أرسلنا إلى قوم مجرمي ن﴾ [الذاريات: 32]، وقوله: ﴿وفي موسى إذ أرسلناه إلى فرعون﴾ [الذاريات: 38]، وقوله: ﴿ففرفر وألى الله﴾ [الذاريات: 50]. فكل موضع منها يح تد جهة الحركة أو غاية التوجه، غير أن السياق ينتقل بها من الحركة الحسية إلى الف ارر المعنوي الإيماني في الآية الأخيرة.

وأما في، فهي أم باب الظرفية، وقد جاءت في السورة على وجهين ظاهرين: ظرفية حقيقية، مثل قوله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ﴾ [الذاريات: 20]، وقوله تعالى: ﴿وَفِي أَنْفٍ سَكْمٌ﴾ [الذاريات: 21]، وظرفية مجازية، مثل قوله تعالى: ﴿إِن كُنُمْ ل فِي قَوْلٍ مَخ تَل ف﴾ [الذاريات: 8]، وقوله تعالى:

﴿فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾ [الذاريات: 11]. ولذلك كان هذا الحرف أكثر الحروف أثار في بناء الصورة التفسيرية في السورة.

وأما اللام الجارة، فقد وردت في السورة في معان أبرزها الاختصاص والاستحقاق، كما في قوله تعالى: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [الذاريات: 19]، وقوله تعالى: ﴿وَآيَاتٌ لِّمُوقِنِينَ﴾ [الذاريات: 20]، وقوله تعالى: ﴿وَتَرْكُونا فِيهَا آيَةً لِّلَّذِينَ يَخْافُونَ آل عذاباً أَلِيمًا﴾ [الذاريات: 37]، وقوله تعالى: ﴿لِلسُّورِ فِيهَا آيَاتٌ لِّذَّاكِرِينَ﴾ [الذاريات: 34]. ويُنبهنا هنا إلى أن اللام في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لِحَقٌّ﴾ [الذاريات: 23] ليست لام جر، بل هي اللام المزحلقة الداخلة على خبر إن للتوكيد، ومن ثم فهي خارجة عن موضوع هذا البحث.

وأما على، فالأصل فيها الاستعلاء، وقد وردت في السورة في سياق العذاب والتسليط، نحو قوله تعالى: ﴿لَنُنَزِّلَ لِعِبادِنا سُلُوسًا مِّن سَمَوَاتٍ﴾ [الذاريات: 33]، وقوله تعالى: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عِبادِنا بِالْبَأْسِ ما عَمَّ السُّعَادِ﴾ [الذاريات: 41]. فالاستعلاء هنا ليس مجرد معنى مكاني، بل يحمل معنى الإحاطة والقهر. وأما عن، فتفيد المجاوزة، كما في قوله تعالى: ﴿فَعَتُوا عَنِ رَبِّهِمْ﴾ [الذاريات: 44]، وقوله: ﴿فَتَوَلَّوْهُمُ﴾ [الذاريات: 54].

وأما واو القسم، فقد افتتحت السورة بها في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهِمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: 1]. ثم تكررت في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهِمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: 7]. وهي واو جر وقسم، تجر الاسم بعدها لفظاً وتربطه بسياق التوكيد. وأما ر ب، فقد وردت في السورة في قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ الْبَأْسِ ما عَمَّ السُّعَادِ﴾ [الذاريات: 23]، وهي هنا حرف جر للقسم ازد المعنى توكيدياً.

وأما الباء، فأصلها الإلصاق، وتتوسع دلالتها إلى الملابس والسببية والاستعانة والظرفية بحسب السياق. وقد وردت في السورة في مواضع مهمة، مثل قوله تعالى: ﴿وَبِالْأَسْحَابِ بَسَّتْ عُرُوقُهُمْ﴾ [الذاريات: 18]، وقوله: ﴿بِعَجَلٍ سَمِينٍ﴾ [الذاريات: 26]، وقوله: ﴿بِعُورٍ مَّشِينٍ﴾ [الذاريات: 28]، وقوله: ﴿بِسُلْطَنٍ مِّبِينٍ﴾ [الذاريات: 38]، وقوله: ﴿بِرُكْنٍ هَامٍ﴾ [الذاريات: 39]، وقوله: ﴿بِأَيِّدٍ﴾ [الذاريات: 47]. وفي الموضع الأخير المارد بالأيد

القوة، لا الجارحة، وهو استعمال عربي معروف تثبته كتب اللغة والتفسير (الطبري، 2000؛ ابن عطية، 1993).

أما الحروف التي لم يثبت لها ورود صريح في السورة على وجه الجر، مثل الكاف الجارة، وتاء القسم، ومد، ومنذ، فقد اكتفى البحث بالتبنيه عليها نظرياً دون التمثيل لها من السورة؛ الت از ما بحدود المادة المدروسة. وكذلك خلا وحاشا وعدا تذكر في باب الجر عند من يجيز ج ر ما بعدها، وقد تح مل على الفعلية بحسب التركيب، ولذلك نُ به إليها في الإطار النظري ولم تدرج في التطبيق؛ لعدم ورودها في سورة الذاريات (ابن هشام، 1979؛ الغلابيني، 1991).

وبهذا يتبين أن قيمة حرف الجر في سورة الذاريات لا تنحصر في العمل الإعرابي، بل تمتد إلى توجيه المعنى، وصناعة الصورة، وبناء الصلة بين الجملة وسياقها الكلي. ومن هنا جاء المبحث الآتي لتطبيق هذه المعاني على الأسماء المجرورة الواردة في السورة نفسها، مع بيان أثر كل حرف في التفسير.

الاسم المجرور في سورة الذاريات دراسة تفسيرية

يقوم التطبيق في هذا المبحث على أربعة عناصر متلازمة: إثبات الآية بالرسم العثماني، وبيان معنى حرف الجر في الموضع المدروس، وإعراب الاسم المجرور أو الجار والمجرور، ثم الكشف عن الأثر التفسيري الذي أفاده ذلك الحرف في السياق. وبذلك لا يفصل الجانب النحوي عن الدلالة، ولا الدلالة عن المقصد العام للسورة.

أو لا: واو القسم

في قوله تعالى: ﴿وَأَلْذُرِّيَّتْ ذُرْوَا﴾ [الذاريات: 1] جاءت الواو واو قسم جارة، واسمها الذاريات، وهو اسم مجرور لف ظا بالواو، والجار والمجرور متعلقان بفعل قسم محذوف تقديره: أقسم. والمعنى أن الله تعالى أقسم بالرياح التي تذروا؛ تمهيذاً لتقرير أن الوعد حق وأن الجازة واقع. وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَلْسَمَا ذَاتِ الْحُبْكَ﴾ [الذاريات: 7] جاء الاسم السما ء مجرور بواو القسم، فكان انتظام السماء ذات الحبك دليلاً على فساد قول المكذبين واضطرابه (الطبري، 2000؛ ابن عاشور، 1978).

ثاني: حرف في

في قوله تعالى: ﴿إِن كُنْ لَ فِي قَوْلٍ مَّخْتُوفٍ﴾ [الذاريات: 8] جاء الاسم قول مجرور بـ في، وهي هنا للظرفية المجازية؛ إذ لم يرد ظرف المكان، وإنما الإحاطة المعنوية، أي إنهم منغمسون في قول مختلف. وعلى هذا النحو نفسه جاء قوله تعالى: ﴿أَلْذُرِّيَّتْ ذُرْوَا﴾ [الذاريات: 11]، فالاسم غمرة مجرور بـ في، والم ارد غمرة الجهالة والضلال.

والأثر التفسيري في الموضعين أن الحرف ص ور الباطل كأنه ظرف يحيط بهم من كل جهة (الطبري، 2000؛ مكي القيسي، 2008).

وفي قوله تعالى: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [الذاريات: 19] جاء الاسم أموالهم مجرور بـ في، والجار والمجرور خبر مقدم، وحق مبتدأ مؤخر. والظرفية هنا تشعر بأن حق السائل والمحروم ثابت مستقر في المال. وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِ﴾ [الذاريات: 20]، وقوله: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: 21]، وقوله: ﴿وَفِي آلاءِ سَمَاءِ رِزْقِكُمْ وَمَا تَوْعَدُونَ﴾ [الذاريات: 22]، جاءت الأسماء الأرض وأنف سكم والسماء مجرورة بـ في، وهي في هذه المواضع للظرفية الحقيقية أو القريبة من الحقيقية، لتدل على أن آيات الله ماثلة في الكون والإنسان والرزق والوعد (القرطبي، 1988؛ ابن عاشور، 1978).

وفي قوله تعالى: ﴿فَأَقْصِبْ وَجْهَ لِمَنِ أَنْتَ أَمْ تُصَبِّحُ بِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ [الذاريات: 29] جاء الاسم صرة مجرور بـ في، والجار والمجرور متعلقان بالفعل أقبلت، وفيه تصوير للحال التي أحاطت بأمارة إبراهيم عند سماع البشارة. ثم توسعت الدلالة القصصية لـ في في قوله تعالى:

﴿وَفِي مِثْقَلِ ذَرَّةٍ مِّنْهُمَا عِلْمٌ يَوْمَ الْقِيَامِ لَدَى اللَّهِ﴾ [الذاريات: 38]، وقوله: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رَسُولًا فَذُنُوبُهُمْ﴾ [الذاريات: 41]، وقوله: ﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ تَّبَعُوا لِرَبِّهِمْ إِذْ كَانُوا رَبًّا﴾ [الذاريات: 43]، وفي شأن موسى، وفي شأن عاد، وفي شأن ثمود آية. وأما في قوله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَا مِنْهُمُ اثْقَالَ جَدِيدٍ﴾ [الذاريات: 40]، فجاء الاسم اليّ مجرور بـ في على الظرفية المكانية الحقيقية، ليدل على إحاطة البحر بفرعون وجنده إحاطة تامة (ابن عطية، 1993؛ الشوكاني، 1972).

ثالثاً: حرف الباء

جاءت الباء في السورة على معان متعددة. ففي قوله تعالى: ﴿وَبِالْأَسْحَابِ طُغْيَانٌ﴾ [الذاريات: 18] جاء الاسم الأسحار مجرور بالباء، وهي للظرفية الملازمة، والجار والمجرور متعلقان بالفعل يستغفرون. وفي قوله تعالى: ﴿فَارْغَبْ إِلَىٰ أَهْلِ الْبَيْتِ﴾ [الذاريات: 26] جاء الاسم عجل مجرور بالباء، وهي للمصاحبة؛ أي جاءهم بعجل سمين. وفي قوله

تعالى:

﴿ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ﴾ قالوا لا تخف وبشره بعلم علي م ﴿ [الذاريات: 28] جاء الاسم غلاماً مجروحاً بالباء، وهي باء الملايسة في البشارة. وفي قوله تعالى: ﴿ وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾ [الذاريات: 38] جاء الاسم سلطاناً مجروحاً بالباء، وهي للاستعانة أو الملايسة الدالة على تأييد الرسالة بالحجة. وفي قوله تعالى: ﴿ فَتَوَلَّىٰ وَرُكُنًا هَهُنَا وَ قَالَ سِحْرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾ [الذاريات: 39] جاء الاسم ركنه مجروحاً بالباء، أي تولى معتمداً على قوته. وأما قوله تعالى: ﴿ وَأَلْسِنًا مَبِينَةً لِّهَا بِأَيْدِي دُونِ الْيَدَيْنِ ﴾ [الذاريات: 47]، فالاسم أي يدي مجرور بالباء، وهي للاستعانة أو الملايسة الدالة على القوة والافتقار، لا على الجارحة (الطبري، 2000؛ ابن عاشور، 1978).

ارب عا: حرف إلی

الأصل في إلی انتهاء الغاية، وهو المعنى الجاري في السورة. ففي قوله تعالى: ﴿ فَارْغَبْ إِلَىٰ أَهْلِ هَاهُنَا فَبِجَاءِ بَعْضِهِمْ غَبَابٌ كَلِمَةٌ ﴾ [الذاريات: 26] جاء الاسم أهل هـ مجروراً بـ إلی، والجار والمجرور متعلقان بالفعل فـ ارغ، فكان الحرف دالاً على جهة الحركة المقصودة لإعداد الضيافة. وفي قوله تعالى:

﴿ قَالَ وَإِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ مَجْرَجٍ رَسُولًا ﴾ [الذاريات: 32]، وقوله: ﴿ وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾ [الذاريات: 38]، جاء الاسمان قوم وفرعون مجرورين بـ إلی؛ لانتهاء غاية الإرسال إليهما. ثم ارتقى المعنى في قوله تعالى: ﴿ فَفَرَّوْا إِلَىٰ آلِهِ ﴾ [الذاريات: 50]، فجاء الاسم الجليل الله مجروراً بـ إلی، وهي هنا لانتهاء الغاية المعنوية لا المكانية؛ لأن الفـ ارر إنما هو إلی التوحيد والطاعة والاعتصام (الطبري، 2000؛ القرطبي، 1988).

خام سا: اللام الجارة

في قوله تعالى: ﴿ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِينَ ﴾ [الذاريات: 19] جاء الاسمان السائل والمجروح باللام، وهي للاستحقاق والاختصاص؛ فالحق ثابت لهذين الصنفين. وفي قوله تعالى: ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّمُوقِنِينَ ﴾ [الذاريات: 20] جاء الاسم الموقنين مجروراً باللام، والجار والمجرور صفة لآيات، أي آيات مخصوصة بهم من جهة كمال الانتفاع. وفي قوله تعالى: ﴿ مَسْجُودًا وَعَنْ رَبِّكَ لَمُسْتَسِرِّينَ ﴾ [الذاريات: 34] جاء الاسم المسرفين مجروراً بالباء، أي أن الحجارة معده لهم اختصاصاً. وفي قوله تعالى: ﴿ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِّذِينَ يَخَافُونَ أَلْعَابَهُ ﴾ [الذاريات: 37] جاء الاسم الذين مجروراً باللام، فدل على أن العبرة

بالرب المالك للكون وبين التصريح ب أن الوعد حق مثل نطق الناس أنفسهم. ومن ثم يظهر أن الجر هنا دخل في بنية حاجية قوية تقطع باب الشك وتثبت اليقين (الطبري، 2000؛ ابن عاشور، 1978).

ومن خلال هذه التطبيقات يتضح أن حرف الجر في سورة الذاريات عنصر دلالي فاعل، لا أداة ربط محايدة؛ فهو الذي يحدد جهة العلاقة بين الأسماء والأفعال، ويضبط م ارتب القرب والبعد، والإحاطة والاختصاص، والقهر والاستغ ارق، ثم ينعكس ذلك كله على التفسير. ولذلك أمكن القولان بناء المعنى في السورة قائم، في جانب مهم منه، على الدقة في اختيار الحرف الجار وموقعه.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد، فقد انتهت هذه الدراسة إلى جملة من النتائج العلمية التي كشفتها ق ارة الأسماء المجرورة بالحرف في سورة الذاريات ق ارة نحوية تفسيرية متكاملة .

أو لا: تبين أن سورة الذاريات سورة مكية ذات بناء موضوعي محكم، يدور على تقرير التوحيد، وصدق الوعد والوعيد، والاستدلال بآيات الكون والتاريخ على إمكان البعث ووجوب الف ارر إلى الله تعالى.

ثان يا: ثبت أن البحث في الأسماء المجرورة في السورة لا يثمر ثماره التفسيرية إلا بعد ضبط معاني الحروف الجارة نفسها؛ لأن الحرف هو الذي يحدد جهة العلاقة بين الاسم وما يتعلق به، ومن ثم يوجه معنى الجملة كلها.

ثالث ا: ظهر أن حرف في هو أكثر الحروف حضورا في السورة، وقد تن وعت دلالاته بين الظرفية الحقيقية والظرفية المجازية، مما أكسب السورة بع دا تصويرياً ومعنوياً واس عا.

ارب عا: كشفت الدراسة أن حروف الجر في السورة لا تعمل عم لا إع اريباً مجردا، بل تشارك في بناء الحجاج القرآني؛ فواو القسم ور ب القسم رسختا معنى التوكيد، وحرف إلى نقل المعنى من الحركة الحسية إلى الف ارر الإيمان، وحرف على أبرز معنى القهر والتسليط في آيات العذاب .

خام سا: دلّ التطبيق على أن اللام الجارة في السورة أفادت الاستحقاق والاختصاص في مواضع متعددة، ولا سيما في قوله تعالى: ﴿ل ل سا ل و آل مخروم﴾، وهو ما يربط التوجيه النحوي بالبعد القيمي والاجتماعي في السورة.

ساد سا: تبين أن من جاءت في السورة على وجوه متعددة، منها البيان، والتبويض، وابتداء الغاية الزمانية، والزيادة في سياق النفي، وهذا التنوع أبرز ثراء الحرف الواحد وأثره المباشر في تفسير الآية.

سابعاً: أكدت الدراسة أن الجار والمجرور كثيرون ما يتعلقان بمحذوف تقديره خبر أو صفة أو حال، وأن تقدير هذا المحذوف ليس مسألة صناعية محضة، بل ينبني عليه فهم السياق.

ثامناً: ظهر من خلال التطبيق أن كثيرون من الأسماء المجرورة في سورة الذاريات جاءت في مواضع الاستدلال؛ فمرة تكون الدلالة كونية، ومرة تاريخية، ومرة تربوية، ومرة عقديّة، وهذا التنوع يدل على أن نظام الجر في السورة جزء من وحدتها الموضوعية.

تاسعاً: أسهم اعتماد الرسم العثماني للآيات، وربط التوجيه النحوي بالسياق التفسيري، في جعل نتائج البحث أكثر دقة واتساقاً مع طبيعة النص القرآني ومقاصده.

عاشراً: يوصي البحث بمزيد من الدراسات التطبيقية التي تصل بين النحو والتفسير في سور القرآن الكريم، ولا سيما في أبواب الحروف؛ لأن هذه الأبواب تكشف عن مستويات دقيقة من الإعجاز البياني والدلالي في القرآن.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، نافعا لدارسي كتابه، والحمد لله رب العالمين.

المصادر

1. [ابن أبي العز، صدر الدين علي بن علي. (د.ت). شرح العقيدة الطحاوية.
2. [ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي. (د.ت). فتح الباري شرح صحيح البخاري .
المكتبة الإسلامية.
3. [ابن حنبل، أحمد بن محمد. (1999). مسند الإمام أحمد بن حنبل. (ط2). مؤسسة
الرسالة.
4. [ابن عادل، عمر بن علي. (د.ت). تفسير اللباب. دار الكتب العلمية.
5. [ابن عاشور، محمد الطاهر. (1978). التحرير والتنوير. دار التونسية للنشر.
6. [ابن عطية الأندلسي، عبد الحق بن غالب. (1993). المحرر الوجيز في تفسير
الكتاب العزيز. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد. (ط1). دار الكتب العلمية.
7. [ابن مالك، محمد بن عبد الله. (د.ت). ألفية ابن مالك.
8. [ابن منظور، محمد بن مكرم. (2003). لسان العرب. دار الحديث.
9. [ابن هشام الأنصاري، عبد الله بن يوسف. (1979). أوضح المسالك إلى ألفية ابن
مالك. دار الفكر.
10. [الأزهري الهروي، علي بن محمد. (1993). الأزهري في علم الحروف. مجمع اللغة
العربية.
11. [الأشقر، أحمد سليمان عبد الله. (2001). معجم علوم اللغة العربية. مؤسسة الرسالة.
12. [البخاري، محمد بن إسماعيل. (د.ت). صحيح البخاري. المكتبة الإسلامية.
13. [البقاعي، إبراهيم بن عمر. (1981). نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. دار ابن
تيمية.
14. [الترمذي، محمد بن عيسى. (د.ت). سنن الترمذي. تحقيق: أحمد محمد شاكر. دار
إحياء التراث العربي.
15. [التوحيدي، عبد العزيز بن عثمان، وشرف الدين، جعفر. (2000). الموسوعة
القرآنية: خصائص السور. (ط1). دار التقريب بين المذاهب الإسلامية.
16. [الحري، القاسم بن علي بن محمد. (2004). شرح ملح الإعراب. دار الكتاب
العربي.
17. [حسن، عباس. (د.ت). النحو الوافي. دار المعارف.
18. [حسن، محمود. (1997). النحو الشافي. مؤسسة الرسالة.

19. □ الخازن، علي بن محمد البغدادي. (1955). لباب التأويل في معاني التنزيل. (ط2). مطبعة مصطفى البابي الحلبي.
20. □ الخطيب، طاهر يوسف. (2007). المعجم المفصل في الإعراب. دار الكتب العلمية.
21. □ الشريف الرضي. د.ت. (تلخيص البيان في مجازات القرآن. دار الأضواء.
22. □ الزاكي، بونيس. (د.ت). أطاف الخازم بشرح منظومة حازم.
23. □ الزمخشري، محمود بن عمر. (د.ت). الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. تحقيق: عبد الرزاق المهدي. دار إحياء التراث العربي.
24. □ السمرقندي، نصر بن محمد بن أحمد. (د.ت). بحر العلوم.
25. □ السمعاني، منصور بن محمد بن عبد الجبار. (1997). تفسير القرآن. تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم. (ط1). دار الوطن.
26. □ السيوطي، جلال الدين. (د.ت). اسرار ترتيب القرآن. تحقيق: عبد القادر أحمد عطا. دار الاعتصام.
27. □ الشوابكة، داود غطاشة. (2000). النحو العربي التطبيقي. دار الفكر للطباعة والنشر.
28. □ الشوكاني، محمد بن علي. (1973). فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير. (ط3). دار الفكر.
29. □ الطبري، محمد بن جرير. (2000). جامع البيان في تأويل القرآن. تحقيق: أحمد محمد شاكر. (ط1). مؤسسة الرسالة.
30. □ ابن عثيمين، محمد بن صالح. (2004). تفسير الحجرات - الحديد. (ط1). دار الثريا للنشر والتوزيع.
31. □ الغلاييني، مصطفى. (1991). جامع الدروس العربية. المكتبة العصرية.
32. □ الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب. (1999). القاموس المحيط. دار الفكر.
33. □ القرطبي، محمد بن أحمد. (1988). الجامع لأحكام القرآن. (ط1). دار الكتب العلمية.
34. □ القشيري، عبد الكريم بن هوازن. (د.ت). لطائف الإشارات (تفسير القشيري). الهيئة المصرية العامة للكتاب.



35. □ القيسي، مكي بن أبي طالب. (2008). الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه. (ط1). مجموعة بحوث الكتاب والسنة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة.
36. □ مقاتل بن سليمان البلخي. (2003). تفسير مقاتل بن سليمان. تحقيق: عبد الله محمود شحاتة. (ط1). دار إحياء التراث.
37. □ مناهج جامعة المدينة العالمية) .د.ت. (الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم) .كود المقرر. (IUQR3213: جامعة المدينة العالمية.
38. □ الهرميل، أحمد محمود. (1980). الجامع الصغير في النحو. مكتبة الخابزي.
39. □ الواحدي، علي بن أحمد النيسابوري. (1994). الوسيط في تفسير القرآن المجيد . تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، وأحمد محمد صيرة، وأحمد عبد الغني الجمل، وعبد الرحمن عويس. (ط1). دار الكتب العلمية.